الفصل السادس

الصحافة المصرية وفلسطين في الأربعينات

١- صحيفة المصري:

رغم أن المسألة المصرية وعلاقة مصر ببريطانيا شغلت معظم صفحات "المصري" في السنوات الأولى من مرحلة الأربعينات فقد بدأت أنباء فلسطين تلقي اهتماماً متزايداً من جانب الصحيفة خصوصاً في النصف الأخير من عام ١٩٤٧. وتدريجياً بدأت القضية الفلسطينية تلقي إهتماماً يوازي اهتمام "المصري" بالمسألة المصرية. وقد أبدت "المصري" اهتماماً ملحوظاً بمتابعة موقف بريطانيا من القضية الفلسطينية اثناء عرضها على الأمم المتحدة، وشنت هجوماً حاداً على بريطانيا وحملتها مسئولية انتزاع فلسطين من أيدى أبنائها العرب. وكانت "المصري" دائماً تبدي تشككها في الوعود البريطانية الخاصة بانسحابها من فلسطين. وقد نددت المصري بالوثيقة[١] التي قدمها أسقف بيروت إلى لجنة التحقيق التي انتدبتها الأمم المتحدة لوضع تقرير عن المسألة الفلسطينية قد أحرزت تقدماً كبيراً بفضل الأستعمار الصهيوني. كما اقترحت الوثيقة إنشاء وطن مسيحي في لبنان ووطن يهودي في فلسطين. وقد علقت الصحيفة على ذلك (بأن هناك يداً أجنبية عن العرب قد بدأت تلعب في الخفاء)[٢].

وتعرب المصري عن قلقها المتزايد إزاء تدفق الهجرة اليهودية على فلسطين. وتنشر أخبار الأفواج اليهودية في الصفحات الأول منذرة ومحذرة من العواقب السيئة التي سوف تترتب على ذلك. كذلك أبدت المصري حماسها وتشجيعها لقرارات الجامعة العربية التي اتخذتها في بيروت بخصوص التدخل العسكري العربي لإنقاذ فلسطين[٣]، على أساس أن تحرير فلسطين لن يتم إلا بقوة السلاح. وتواصل المصري ثناءها على اللغة الجديدة التي بدأ يتعامل بها العرب مع العالم.

ويلاحظ في نهاية عام (١٩٤٧) طغيان أخبار فلسطين على صفحات المصري سواء ما يتعلق بالموقف العربي او الدول الشرقية من القضية أو انسحاب انجلترا من فلسطين أو الأموال التي تجمع لليهود من أمريكا. . الخ.

وتهاجم المصري موقف الضعف الذى يتخذه رئيس وزراء مصر تجاه القضية الفلسطينية وإنقاذها على اعتبار أن رؤساء وزراء الدول العربية جميعاً قد تحدثوا عن مواقفهم باستثناء رئيس الوزراء المصري(٤).

وفي إطار اهتمامها بالقضية الفلسطينية والتدخل العسكري من جانب الدول العربية لتخليص فلسطين من الصهيونية دعت المصري إلى تسليح جيش مصر من أجل إنقاذ فلسطين. وطالبت الصحيفة بأن (يكون جيشنا على أهبة الاستعداد للقيام بواجبه على الوجه الأكمل – لقد كان الاستعداد العربي للدفاع عن فلسطين فرصة عرفت بها الحكومة وأدرك منها الرأي العام الحاجة السريعة إلى تقوية الجيش المصري)(٥).

كانت المصري تنشر بعض التعليقات على الدعاية الصهيونية وتحاول من خلالها إثارة قضية دور مصر والعرب لمساندة شعب فلسطين. كأن تقول مثلاً: لقد خلق مرشح الجمهورية للكونجرس في الجو فوق مقر هيئة الأمم المتحدة وأخذ يلقي منشورات يطالب فيها الأمم المتحدة بإعطاء فلسطين لليهود. ثم تتساءل الصحيفة: (هذا ما يفعله الصهيونيون لقضية غير مشروعة فماذا فعلنا نحن لقضيتنا المشروعة؟!)(٦).

هذا وقد شنت المصري هجوماً حاداً على موقف اعضاء الأمم المتحدة من فلسطين وخصوصاً الولايات المتحدة والدول الغربية التي تساند التقسيم. وكانت ترى أنهم لا زالوا مصممين على انتهاج الطريق الخاطىء بمساندتهم للصهيونية ووقوفهم من حقوق العرب موقف الخصم الألد. وهنا تكرر المصري ثناءها على الموقف العربي والقرارات التي اتخذتها الجامعة العربية بشأن استعداد الدول العربية للتدخل العسكري من أجل إنقاذ فلسطين. وتعتبر أن هذا هو الرد الوحيد على الدول الغربية وموقفها العدائي من العرب(٧).

وقد كانت الافتتاحيات والمقالات هي القوالب الصحفية الرئيسية التي تناولت "المصري" من خلاله القضية الفلسطينية في الأربعينات مع عدم تجاهل القوالب الخبرية.

صحيفة صوت الأمة وفلسطين:

تعكس صحيفة صوت الأمة باعتبارها لسان حال الجناح اليساري في حزب الوفد إدراكاً صحيحاً لطبيعة الصراع العربي الصهيوني الدائر في فلسطين. وتخلو كتاباتها من النغمة العنصرية. كما أنها تضع البعد الديني للقضية في إطاره الصحيح. ويبرز ذلك من خلال متابعة كتاباتها عن القضية الفلسطينية في الأربعينات ورغم أن حجم الاهتمام بالقضية الفلسطينية ليس كبيراً لدى صوت الأمة فإن كتاباتها تتميز في هذا الصدد بنغمة راديكالية واضحة. فهي تطرح القضية كجزء من قضايا الشعوب العربية في مواجهة الصهيونية التي تعتبر جزءاً من النظام الاستعماري العالمي. وترى أن الحل لن يكون إلا بالسيف. وتحاول الصحيفة في أكثر من مقال للدكتور محمد مندور تفنيد الأساس الديني الخاطىء الذي تحاول الصهيونية أن تقيم دولتها على اساسه. وتؤكد استحالة اندماج هذه الدولة المزعومة الواقعة في قلب العالم العربي مع دول هذه المنطقة. ويرى الدكتور مندور كاتب هذه المقالات أن الحل الحقيقي الوحيد هو الذى يتمثل في دستور فلسطين الذى قدمته الدول العربية إلى مؤتمر لندن ١٩٤٦[٨]. ومما يجدر ذكره أن صحيفة صوت الأمة من الصحف المصرية القليلة التي كانت تفتح صفحاتها للكتاب الفلسطينيين في مصر.

صحيفة "الأخوان المسلمون" وفلسطين:

كان المقال هو المقال الصحفي الرئيسي الذي تناولت صحيفة "الأخوان المسلمون" من خلاله القضية الفلسطينية في الأربعينات. وتحت عنوان ثابت (اخبار العالم العربي والإسلامي) كانت أنباء فلسطين تنشر بانتظام[٩]. ورغم غلبة الطابع الديني على معظم الكتابات التي نشرتها صحيفة الأخوان عن الصراع الدائر في فلسطين فإن بعض هذه الكتابات كانت تعكس وعياً سياسياً شاملاً بأبعاد القضية ورؤية تنبئية عن احتمالات

نطورها في المستقبل. مثال ذلك المقال الذى كتبه على قطب الشريف وهو أحد الكتاب البارزين في الصحيفة وخصوصاً في القضية الفلسطينية. ويتضمن هذا المقال تعليقاً للكاتب على اقتراح امريكا بوضع فلسطين تحت الوصايا والرجوع عن قرار التقسيم. يحاول الكاتب ان يكشف الخدعة المزدوجة التي تقوم بها امريكا لإرضاء العرب ظاهرياً مع العمل على تحقيق آمال الصهيونية في اغتيال فلسطين واستخلاصها من أيدى العرب وتثبيت اقدام بريطانيا مرة أخرى وفتح ابواب الشرق الأوسط لمنح امريكا فرصة السيطرة على البترول من ناحية والتربص بروسيا من ناحية أخرى. ويؤكد الكاتب في نهاية مقاله تمسك العرب باستقلال فلسطين وعروبتها(١٠).

يلاحظ على كتابات الأخوان المسلمين في صحيفتهم الرسمية التأكيد على الحلول الاخلاقية والتمسك بالدين (إذا كان الخصم يواجهنا بالسلاح المادي فلدينا سلاح الإيمان بالحق والوحدة من حوله)(١١). (انه بغير العقيدة وبغير الإيمان والإسلام لن يكون النصر لفلسطين)(١٢).

تتردد نغمة عنصرية في أغلب كتابات صحيفة "الأخوان المسلمون" خصوصاً عند التحدث أو الإشارة إلى الصهيونية واليهود (ان الصهيونيون اقذر شعب وجد على ظهر الأرض وهم مجموعة من الخونة والمخربين)(١٣).

رغم أن هناك خلطاً واضحاً في كتابات الصحيفة بين العروبة والإسلام فإنه مما تجدر الإشارة إليه ذلك الفهم الصحيح للبعد العربي للقضية الفلسطينية الذى كانت تؤكده الصحيفة في معظم مقالاتها. مثال ذلك ما كانت تؤكده من (أن كل مقصر في حق فلسطين متنكر لعروبته مارق في دينه دعي في قوميته)(١٤).

ويغلب على كتابات "الأخوان المسلمون" الإلحاح على المسلمين بضرورة التبرع من أجل فلسطين (إن الله قادر على تحريرها دون أموالكم ولكن عليكم التبرع لعلكم تنجون من غضب الله والناس)(١٥).

ويلاحظ على اهتمام الصحيفة بالقضية الفلسطينية في الأربعينات أنها لم تفقد الأمل مطلقاً في إمكانية أن تقوم الحكومات العربية والجامعة العربية بدور أساسي في

تحرير فلسطين من الصهيونية. ولذلك تكثر نداءات الصحيفة ومناشدتها للجامعة العربية أو الحكومات بتبني هذا الموقف أو ذاك. . وإن كان ذلك الموقف لم يمنعها من طرح بعض الحلول الصحيحة للمسألة الفلسطينية: هي ترى أن الحل يكمن في ضرورة تضامن العرب من أجل تخليص فلسطين من أيدى اليهود على أن يعيش هؤلاء اليهود وفلولهم تحت حكم عربي عادل يقوم أهل فلسطين بتحديد شكله في استفتاء تجريه الجامعة العربية[١٦]. كذلك يبدو الخلط واضحاً بين اليهودية كدين والصهيونية كحركة سياسية، في معظم كتابات صحيفة "الأخوان المسلمون" (كل يهودي صهيوني وكل صهيوني يهودي)[١٧].

صحيفة مصر الفتاة وفلسطين:

يلاحظ ان القضية الفلسطينية كانت محوراً لأغلب التحقيقات والأنباء والمقالات التي كانت تنشرها صحيفة "مصر الفتاة" في الأربعينات. ولكن كان هذا التدفق في النشر يرتبط غالباً بفترات المد التي شهدتها القضية في مرحلة الأربعينات. على أنه يلاحظ في فترات الانحسار قلة ما تنشره مصر الفتاه عن القضية الفلسطينية حتى يكاد يصل إلى العدم، مما يشير إلى أن اهتمام مصر الفتاة الإعلامي بالقضية لم يزد عن كونه ظاهرة موسمية أو ردود فعل وقتية في كثير من الأحيان. ومن أبرز سمات اهتمام مصر الفتاة بالقضية الفلسطينية في تلك المرحلة ما يلي:-

١- الدعوة الدائمة للأغنياء إلى التبرع بالأموال والأسلحة والتطوع في صفوف المجاهدين (إن فلسطين في حاجة إلى الأموال والمجاهدين وإلى الأسلحة ..أما غير ذلك من المسائل فهي أساليب رخيصة تضر ولا تنفع فلنتعلم قليلاً من أعدائنا الاستعماريين)[١٨].

٢- كان أحمد حسين رئيس تحرير صحيفة مصر الفتاة أكثر كتاب الصحيفة اهتماماً بالقضية الفلسطينية، ورغم أن كتاباته كانت تتميز بالاسلوب الإنشائي والمبالغات. وقد دأب على توجيه النقد اللاذع للحكومات العربية التي لم تقدم للقضية الفلسطينية سوى الضجيج الفارغ دون أن تتحرك بجدية لإنقاذ شعب فلسطين.

ويحاول أحمد حسين أن يضرب المثل بنفسه فيقرر الذهاب لتأدية واجبه كجندي في جيش إنقاذ فلسطين(١٩).

٣- دأبت مصر الفتاة على توجيه هجوم متصل إلى الجامعة العربية وتحميلها مسئولية تطورات المأساة الفلسطينية في الأربعينات خصوصاً وأن الشعب الفلسطيني قد اعتمد على القوة العربية سواء الممثلة في الجامعة العربية أو الحكومات ولكنه لم يلق إلا الخذلان. وترى الصحيفة أن الإحجام العربي يرجع إلى الخوف من هزيمة الجيوش لكن الجيوش العربية لا تمد عرب فلسطين حتى بمجرد السلاح. وتطرح مصر الفتاة في مقابل هذا العجز الذى تبديه الحكومات والجامعة العربية مسئولية الشعوب العربية (فإن العبء الأكبر من هذا الواجب سيصبح واقعاً على كاهل الشعوب العربية واحزابها ومنظماتها)(٢٠). ولذلك كانت مصر الفتاة توجه نداءاتها دائماً إلى الشعوب العربية.

٤- لم تتوقف النبرة العنصرية في كتابات مصر الفتاة: فهي تطالب باعتقال اليهود وسحقهم انتقاماً للجرائم البشعة التي ارتكبوها في حق الفلسطينيين وخصوصاً بعد وقوع مذبحة دير ياسين(٢١).

٥- أبدت مصر الفتاة حماساً ملحوظاً لكتائب المتطوعين من الدول العربية. واعتبرت ذلك بادرة إيجابية لحل المشكلة الفلسطينية. وقد عززت ذلك بكتابات أحمد حسين الذى طالب بضرورة تدخل الجيوش النظامية إلى جانب المتطوعين وخصوصاً بعد سقوط حيفا في أيدي اليهود.

صحف اليسار المصري وقضية فلسطين:

يمكن القول أن نشاط اليسار المصري تجاه القضية الفلسطينية في الأربعينات كان يدور حول محورين رئيسيين. أولهما الكفاح ضد الصهيونية ومحاولة عزلها عن جماهير اليهود في مصر مع العمل على كشف علاقاتها المريبة مع السلطات المصرية آنذاك. وثانيهما الكفاح ضد الدعاوي العنصرية وكشف الأخطار التي تحملها ضد حركة التحرر الوطني الفلسطينية والعربية. وقد تبلورت رؤية اليسار المصري لحل

المشكلة الفلسطينية في أمر واحد وهو (جلاء الجنود البريطانيين عن فلسطين وقيام فلسطين الحرة الديمقراطية التي تستطيع في ظلها جماهير العرب واليهود أن تحل مشاكلها وأن تعيش في سلام ووئام لصالح الملايين لا لصالح حفنة من الاحتكاريين)[٢٢].

هذا وقد حاولت صحف اليسار المصري أن تعكس هذا الموقف المبدئي على امتداد مرحلة الأربعينات. فكانت مجلتى الفجر والضمير تمثلان وجهة نظر منظمة العمال والفلاحين في الفترة الزمنية الممتدة من ١٩٤٥ إلى ١٩٤٦. وقد لوحظ أن أغلب كتاباتهما كانت عن الصهيونية ومحاولة كشف مخططاتها في فلسطين والعالم العربي. وكانت صحيفة الفجر الجديد تنقل أحياناً عن الصحف الفلسطينية مثل صحيفة الاتحاد لسان حال الحزب الشيوعي الفلسطيني. وكانت تكثر من نشر بريد القراء الذى كان يدور معظمه حول مكافحة النشاط الصهيوني في مصر وحوادث ٢ نوفمبر ١٩٤٥ التي كان الهدف منها هو إعلان احتجاج الشعب المصري على محاولات الصهيونية لانتزاع الوطن الفلسطيني، وقد تخللتها بعض الإعتداءات العنصرية ضد اليهود المصريين. كما شنت الفجر الجديد هجوماً مكثفاً على الجامعة العربية وتواطئها مع القوى الاستعمارية وخصوصاً بريطانيا وأمريكا ضد فلسطين. وقد برز هذا الموقف من خلال تفنيدها لموقف القوي السياسية العربية من تقرير اللجنة الأنجلو أمريكية وترحيبها بها وإيمانها بصداقة بريطانيا وأمريكا التقليدية للعرب (في حين شجبت الحركات التحريرية الشعبية في البلاد العربية نتائج التحقيق وأخذت منه الموقف الوطني الصحيح، بمقاطعة اللجنة وهذا ما فعلته بوجه خاص عصبة التحرر الوطني الفلسطيني)[٢٣].

أما مجلة الضمير لسان حال لجنة العمال للتحرير القومي – وكانت تشكل مع مجلة الفجر الجديد موقفاً متكاملاً لجماعة الفجر الجديد – فقد كان تركيزها على اليهود المصريين، خصوصاً وأن المشرفين على تحريرها وهم صادق سعد وريمون دويك ويوسف درويش كانوا يمثلون طلائع اليهود المصريين الماركسيين. وقد خصصت

معظم مقالاتها لكشف حقيقة الصهيونية وعلاقتها الوثيقة بالنظم الفاشية. وكانت "الضمير" تكرر دائماً أن (الصهيونية لا تمثل حلاً ديمقراطياً حقيقياً لمشكلة اليهود في العالم. بل إن المشكلة اليهودية ليست سوى جزء لا يتجزأ من نضال الشعوب كافة على اختلاف أديانها في سبيل حريتها وديموقراطيتها)[٢٤].

ومن أبرز صحف اليسار المصري صحيفة "الجماهير" لسان حال الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني المعروف باسم "حدتو" وقد صدر العدد الأول منها في ٧ إبريل سنة ١٩٤٦. وإذا كانت الجماهير منبراً علنياً لحدتو فإنها قد استطاعت في بعض الأحيان أن تعيد نشر النصوص الكاملة للمنشورات والبيانات التي أصدرتها قيادة التنظيم سراً ومن بينها وثائق هامة تتعلق بالقضية الفلسطينية. وقد قامت "الجماهير" بطرح الموقف المباشر والشامل لليسار المصري في فترة صدور قرار التقسيم والإعداد لقيام دولة إسرائيل والإعداد لحرب فلسطين عام ١٩٤٨[٢٥].

وقد واصلت حدتو مسيرة اليسار المصري في كفاحه ضد الصهيونية والعمل على كشف جوهرها العنصري وعمالتها للاستعمار، من خلال العمل على توعية جماهير الطائفة اليهودية في مصر والوقوف في وجه محاولات جر الجماهير المصرية إلى مواقف عنصرية ضد اليهود المصريين. وقد تمثل ذلك في إصرارها على ضرورة التمييز بين الصهيونية كحركة سياسية وبين اليهودية كدين وتأكيداً لهذا الموقف قامت حدتو بتكوين الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية في يونيو ١٩٤٧. وقد أصدرت هذه الرابطة بياناً أوضحت فيه اتجاهها المعادي للصهيونية وموقفها من القضية الفلسطينية وطالبت اليهود المصريين بضرورة الانضمام إلى الحركة الوطنية المصرية والتضامن معها في سبيل تحقيق جميع أهدافها[٢٦].

وإلى جانب كفاحها ضد الصهيونية تناولت "الجماهير" القضية الفلسطينية بكل أبعادها الوطنية والقومية والدولية، وكانت ترى أن مشكلة فلسطين ينحصر حلها في الكفاح المشرك بين جماهير العرب واليهود معاً من الاستعمار الانجلو أمريكي وإنشاء دولة حرة ديمقراطية مستقلة. وكانت "الجماهير" تؤكد في كتاباتها على العلاقة

العضوية بين تحرير مصر وتحرير فلسطين، إذ كانت تقــول (أن تحرير فلسطين بل تحرير الشرق العربي يتطلب كخطوة أساسية وضرورية تحرير وادي النيل، فــوادي النيل الحر المستقل يمكن أن يعبىء القوي ويجند الملايين التي تشترك اشتراكاً أساسياً في حرب يخوضها إلى جانب الشعوب العربية لتحريــر الــشرق مــن نيــر الظلــم والاستغلال والاستعمار)[٢٧].

obeikandl.com

هوامش

١. انظر المصري ١٩٤٧/٩/٢٢، ١٩٤٧/٩/٢٣، ١٩٤٧/٩/٢٤، ١٩٤٧/٩/٢٦.
٢. المصري ١٩٤٧/٩/٢٩ شيئاً من الصراحة.
٣. المصري ١٩٤٧/١٠/١١.
٤. المصري ١٩٤٧/١٠/١٥.
٥. المصري ١٩٤٧/١٠/١٨ تقوية الجيش المصري.
٦. المصري ١٩٤٧/١٠/١٩.
٧. المصري ١٩٤٧/١٠/١٣.
٨. انظر صوت الأمة ١٩٤٨/٤/١٩، ١٩٤٨/٤/٢٧، ١٩٤٨/٤/٣٠، ١٩٤٨/٧/١١.
٩. الاخوان المسلمون العدد ١٨٨-١٩٤٨/٢/٢٨ (ماذا ينتظر العرب والمسلمون).
١٠. الأخوان المسلمون ١٩٣٦/٤/٢٨، ١٩٣٦/٥/١٩، ١٩٤٨/٢/١٤، ١٩٤٨/٢/٢١.
١١. الاخوان المسلمون ١٩٤٨/٢/٢١.
١٢. الإخوان المسلمون ١٩٤٨/٢/١٤، ١٩٤٨/٣/٣٠، ١٩٤٨/٥/٢٦.
١٣. الإخوان المسلمون ١٩٤٨/٢/١٤، ١٩٤٨/٢/٢٨.
١٤. المصدر السابق.
١٥. الإخوان المسلمون ١٩٤٨/٥/١٥.
١٦. الاخوان المسلمون ١٩٤٨/٥/٢٩.
١٧. الاخوان المسلمون ١٩٤٨/١/٥.
١٨. مصر الفتاة ١٩٤٨/١/١٢.
١٩. انظر مصر الفتاة ١٩٤٨/١/١٢، ١٩٤٨/٣/٨، ١٩٤٨/٤/١٩.
٢٠. انظر مصر الفتاة ١٩٤٨/٤/١٩، ١٩٤٨/٤/٢٦.
٢١. مصر الفتاة ١٩٤٨/٤/١٩، ١٩٤٨/٤/٢٦.
٢٢. الجماهير ١٩٤٧/٥/١٩.
٢٣. انظر الفجر الجديد، يونية ١٩٤٥، نوفمبر ١٩٤٥، ديسمبر١٩٤٥، ابريـــل ١٩٤٦، مايو ١٩٤٦، الضمير ١٩٤٥/١٠/١٧.
٢٤. الضمير ١٩٤٦/٥/٧.

٢٥. انظر رفعت السعيد – اليسار المصري والقضية الفلسطينية – مرجع سابق ص ٨٦.

٢٦. بيان الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية – القاهرة يونيو ١٩٤٧.

٢٧. الجماهير ١٩٤٧/١١/٣٠. وانظر أيضاً اعداد الجماهير ابريل – مايو – يونيـــو – أكتوبر – نوفمبر ١٩٤٧.

obeikandl.com

الصحافة المصرية ومشروع تقسيم فلسطين ١٩٤٧:

أجمعت الصحف المصرية بمختلف اتجاهاتها ما عدا بعض صحف اليسار المصري على رفض قرار تقسيم فلسطين الذى اتخذته الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧ تأليف لجنة تحقيق دولية تكونت من السويد وكندا واستراليا والهند وبيرو وهولندا وايران وتشيكوسلوفاكيا وجواتيمالا ويوغسلافيا وارجواي كلفتها ببحث القضية وإيجاد حل لها. وقد زارت اللجنة فلسطين واستمعت إلى شهادات القادة الصهيونيين بينما قاطعها قادة الحركة الوطنية الفلسطينية.

وقررت اللجنة الدولية بأكثريتها تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية. أما أقليتها وتتضمن ممثلي الهند وإيران ويوغسلافيا فقد دعت إلى إقامة دولة ثنائية القومية اتحادية الشكل. ثم أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ وهو يستند إلى مشروع الأغلبية. وقد قابلت الدول العربية مشروعي اللجنة (أغلبية وأقلية) وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بالرفض التام والقاطع دون أن تقدم أى بديل أو حل يتفق مع توازنات القوي العالمية والمحلية، بل اكتفت برفع شعار فلسطين عربية مستقلة موحدة.

وقد وافقت على مشروع التقسيم مجموعة الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتي[١]. ورغم أن مشروع التقسيم وقيام دولة يهودية بفلسطين كان يمثل جزءاً من الإستراتيجية التي رسمتها الولايات المتحدة لمنطقة الشرق العربي بعد الحرب العالمية الثانية فقد كان تبرير الكتلة الاشتراكية لموقف التأييد الذى اتخذته تجاه تقسيم فلسطين ينحصر في اعتباره الحل الوحيد المتاح، وان توازنات القوي لا تحتمل حلاً أفضل منه. وقد تأثر اليسار المصري بموافقة الاتحاد السوفيتي على قرار التقسيم فاتخذ موقفاً مماثلاً. ورغم أن طليعة العمال والفلاحين قد عارضت قرار تقسيم فلسطين وأيدت الدخول في الحرب ضد إقامة الدولة الصهيونية فإن الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني (حدتو) أيدت قرار التقسيم وعارضت بشدة دخول مصر الحرب[٢]. وقد عكست صحيفة الجماهير موقف حدتو من التقسيم. وبررت تأييدها لمشروع التقسيم

بقولها (إننا لا نريد أن ننزع فلسطين من العرب ونعطيها لليهود بل ننزعها من الاستعمار ونعطيها للعرب واليهود ولا نوافق على التقسيم إلا مضطرين كأساس لاستقلال فلسطين ثم يبدأ كفاح طويل للتقريب بين وجهات النظر في الدولتين العربية واليهودية)[٣].

والواقع أن الحركة الشيوعية في مصر قد عانت كثيراً بسبب هذا الموقف الذى تمسكت به في وجه تيار قوي جارف مشحون بالعواطف القومية والدينية تمسك برفض قرار التقسيم. وحاولت الحركة استثمار هذه المشاعر الجارفة بالعمل على توجيهها ضد العدو الرئيسي أى الاستعمار (فلنوجه سلاحنا إلى الاستعمار البريطاني في فايد والقنال والسودان ولن يمكن تحرير فلسطين وظهورنا مكشوفة للعدو فلنحرر وادي النيل كي نتمكن من تحرير الشرق كله)[٤].

على أن الرأي العام المصري الذي بلغ ذروة تعلقه واهتمامه بالقضية الفلسطينية التي كانت تحرك لديه مزيجاً مركباً من المشاعر القومية والدينية، وجد في رفض التقسيم والدعوة للكفاح المسلح ضد إقامة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين العربية الإسلامية الوسيلة الوحيدة لمواجهة الاستعمار العالمي وعلى رأسه بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. ولذلك التقت كل التيارات السياسية على هذا الاتجاه العام الرافض لتقسيم فلسطين. وكان في مقدمة هذه القوى، الوفد وجماعة الإخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة. وقد عبرت "المصري" عن موقف الوفد من التقسيم وشنت هجوماً حاداً على المنظمة الدولية واعتبرتها متواطئة مع التكتل الغربي الجديد بقيادة أمريكا التي تهدف إلى تحويل فلسطين إلى قاعدة ارتكاز لها في المنظمة العربية بجانب المملكة العربية السعودية حقل البترول الكبير[٥]. وبعد صدور قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ خصصت المصري افتتاحياتها لإعلان رفضها لقرار التقسيم وتأكيد عروبة فلسطين والدعوة إلى الكفاح المسلح باعتباره البديل الوحيد لفشل العرب في إقناع المنظمة الدولية بحقوقهم العادلة. أما صحف الأخوان المسلمين ومصر الفتاة فقد عبرت عن مواقف تنظيماتها التي تتسم بالتشدد الذى وصل في بعض الاحيان الى حد

التعصب والطابع العنصري. وقد انتهز صالح العشماوي فرصة صدور قرار التقسيم وشن هجوماً شاملاً على المنظمة الدولية وبريطانيا والولايات المتحدة والدول العربية واعتبرهم جميعاً مسئولين عما حدث لفلسطين ورفع شعار الجهاد المقدس على اساس انه لا حل لقضية فلسطين إلا السيف[٦]. فيما يتعلق بموقف صحيفة مصر الفتاة فقد اتسم بدرجة عالية من الانفعال والعدوانية تجاه الحكومات العربية بالذات. فقد حملتها الصحيفة الجزء الأكبر من مسئولية ما حدث لفلسطين ولم تكتف بالدعوة إلى الكفاح المسلح فحسب بل بادر أحمد حسين نفسه بإعلان تطوعه في صفوف المناضلين من أجل فلسطين متخذاً من ذلك وسيلة لتوجيه اللوم والنقد للقادة العرب الذين لم يفعلوا لفلسطين شيئاً سوى بعض الضجيج المزعج. ويعلق أحمد حسين على ذلك في إحدى افتتاحيات مصر الفتاة بقوله: (كيف يستطيع زعيم أن يبعث الناس إلى الميدان وهو قاعد في بيته يكتفي بالخطب والعظات.. فإذا كنت قد أسرعت إلى سوريا لأتدرب فلكي أستطيع أن أحمل غيري على متابعتي)[٧].

الصحافة المصرية وحرب فلسطين ١٩٤٨:

تعتبر الحرب العربية الإسرائيلية ١٩٤٨ خاتمة للمؤتمرات الصهيونية التي سعت منذ البداية إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ولم تلبث القوي الخارجية والمؤثرات الدولية والأوضاع المحلية في المنطقة العربية وفلسطين أن ساهمت في خلق المناخ المناسب لإعلان دولة اسرائيل على حساب الشعب الفلسطيني.

وقد جاء قرار دخول مصر حرب فلسطين في ١٣ مايو ١٩٤٨ تجسيداً واقعياً لالتقاء مصالح السلطة السياسية في مصر آنذاك مع موجه الحماس الجماهيري للحرب. وكانت حرب فلسطين أول نشاط للجيش المصري في القرن العشرين يرتبط بالآمال الشعبية والوطنية، مما جعل الجماهير تحتضن كافة العمليات العسكرية بآمالها وحماسها. ونما لديها الشعور بانتماء الجيش أو على الأقل انتماء بعض الضباط المقاتلين إلى الحركة الشعبية. وقد بدأت الصحف تعبر عن هذا الاتجاه، فتابعت الصحافة المصرية مختلف مراحل حرب فلسطين على المستوى المحلي والعربي

والعالمي منذ بداية مايو ١٩٤٨، رغم تنوع تياراتها وتعدد انتماءاتها الرسمية والشعبية بالأخبار والبرقيات الخاصة باستعدادات الجيوش العربية للدخول إلى فلسطين والفظائع التي كانت ترتكبها الصهيونية في تلك الفترة.

ويلاحظ الاهتمام المتزايد الذي أبدته صحف الوفد وهي المصري وصوت الأمة بتتبع أنباء الحرب وتطوراتها والتعليق عليها. وقد طغت أخبار فلسطين على صفحات صحيفة المصري حتى أن صفحة الرياضة قد تقلصت أو كادت تزول، كما اختصرت صفحة الوفيات إلى عمود واحد. وخصصت المصري بعض افتتاحياتها للهجوم على أمريكا خصوصاً بعد اعترافها بالدولة اليهودية. كذلك نددت بموقف الاتحاد السوفيتي لنفس السبب. كما يلاحظ اهتمام المصري بالصورة والخرائط والرسوم التي توضح موقف الاطراف المتحاربة[٨]. وتستنكر الصحيفة موقف مجلس الأمن من القضية وتتهمه بالتخبط. ويلاحظ أن المصري كانت تنشر بانتظام البلاغات العسكرية التي تصدر عن الجيش المصري. هذا فضلاً عن تفاصيل المعارك التي كانت تدور على أرض فلسطين. هذا ولا تخفي صحيفة المصري فرحتها عند إعلانها نبأ دخول القوات المصرية مدينة الخليل وتثني على الجيش المصري وقياداته مشيرة إلى (أن ما فعلته القوات المصرية إلى الآن يدل على شدة بأس وعلو كعب في التكتيك الحربي وعلى أن الثقة الكبيرة التي وضعت في قواعدها كانت في محلها حقاً)[٩].

وتحمل المصري على مجلس الأمن وأمريكا وبريطانيا معاً بسبب الاقتراح الذى قدمته بريطانيا بإيعاز من أمريكا بتكليف المقاتلين في القدس بوقف إطلاق النار. وقد حذرت المصري من غدر الصهيونيين، ولذلك كانت ترى ضرورة الاستمرار في القتال دون الأخذ في الاعتبار لقرار مجلس الأمن الذى يقضى بوقف القتال. وقد شاركت معظم الصحف المصرية صحيفة المصري في موقفها من الهدنة وحذرت وانذرت وأصرت على ضرورة الاستمرار في الحرب رغم قرار مجلس الأمن وقد تزعمت هذا الموقف صحف الأخوان المسلمين ومصر الفتاة وصوت الأمة. وعندما عين الكونت برنادوت السويدي الجنسية وسيطاً لحل الخلاف بين العرب والصهيونيين

علقت صحيفة المصري قائلة (إن وساطة الكونت برنادوت الأولي قد انقذت اليهود من اضطهاد ظالم) مشيرة بذلك إلى توسطه بين الحلفاء وألمانيا النازية أثناء الحرب العالمية الثانية. وأكبر الرجاء أن تكون وساطته الثانية كفيلة بإنقاذ العرب من اغتصاب يهودي ظالم)[١٠] وتزف الصحيفة إلى كل عربي نبأ سقوط القدس القديمة في أيدى العرب وإن كانت تبدي اسفها لتهدم بعض مبانيها التاريخية وتحمل اليهود مسئولية ذلك فهم الذين حولوا مدينة السلام إلى مدينة استعر فيها القتال[١١]. والمعروف أن القدس ظلت محاصرة طيلة اثني عشر يوماً من جانب القوات الأردنية.

أما القرار الثاني الذى أصدره مجلس الأمن بفرض هدنة في فلسطين مدتها أربعة أسابيع فقد قوبل بهجوم كبير من جانب الصحف المصرية. وقد اجمعت هذه الصحف على أن هذه الهدنة لن تكون فى صالح العرب بل سوف تعطي اليهود فرصة ذهبية لإعادة النظر في خططهم وأحوال دولتهم المزعومة، ولذلك قبلوا الهدنة ورحبوا بها[١٢].

وقد نددت صحيفة "الأخوان المسلمون" بقرار الهدنة، وكتب صالح عشماوي يطالب برفض مقترحات برنادوت واستئناف القتال فوراً ورفض مد الهدنة لفترة تالية. وعندما تعذر إلغاء الهدنة وفرض وقف القتال اشتدت الصحيفة في هجومها على الإنجليز والأمريكان والأمم المتحدة وطالبت الدول العربية بضرورة الانسحاب من المنظمة الدولية والسعي لتكوين عصبة الأمم الإسلامية[١٣]. أما صوت الأمة فقد استنكرت قبول العرب للهدنة وأوضحت اهمية استئناف القتال في رفع معنويات الجماهير ومواصلة النضال المسلح حتى يتم تحرير فلسطين بأكملها[١٤]. وتحت عنوان (وقف القتال) نددت المصري" بخرق اليهود للهدنة وكتبت تقول (لقد كان هذا منتظراً منهم لأنهم قوم قامت سياستهم على الغدر وعلى خلف الوعد فهما صنوان) وتبرر المصري قبول العرب للهدنة بقولها (إن الشعوب العربية قبلت الهدنة على كره لأنها تريد أن تثبت للعالم كله حسن نيتها ورغبتها الدائمة في صون السلام[١٥].

ولا تتوقف صحيفة الإخوان المسلمين عن ترديد وجهة نظرها التي تتمثل في أن قضية فلسطين لن تحل إلا على أرض فلسطين ولن تحل بغير أسلوب واحد هو القوة ومنطق الأمر الواقع. وترى الصحيفة أن استئناف القتال في جميع الجبهات هو الكفيل برد العدوان الصهيوني خصوصاً وأن العالم اليوم لا يفهم لغة المنطق والبرهان بقدر ما ينصت إلى لغة القوة وصوت المدفع(١٦).

ومن المواقف المشهودة لصحيفتي "الإخوان المسلمون" ومصر الفتاة تصديهما للدفاع عن اشتراك مصر في حرب فلسطين خصوصاً بعد أن ارتفعت بعض الأصوات المصرية التي تنتمي إلى قطاعات البورجوازية الصناعية تستنكر المشاركة المصرية والتضحية بالشباب المصري في حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل وترد صحيفة مصر الفتاة على لسان أحمد حسين قائلة بأننا ما نظرنا في يوم من الأيام إلى قضية فلسطين بإعتبارها قضية عربية بل بإعتبارها قضية مصرية بحته، وإن الوضع في فلسطين لم يعد يحتمل أى تهاون، خاصة إذا نظرنا إلى الخطر الذى يمثله قيام دولة يهودية على حدود مصر. وتتساءل الصحيفة ماذا سيكون الحال إذا قامت هذه الدولة واستمرت لبضع سنوات والدول الغربية تؤازرها هذه المؤازرة. أشهد أن هذا سيكون البلاء المبين(١٧).

أما صحيفة "الاخوان المسلمون" فقد قامت بالرد على رئيس اتحاد الصناعات المصري الذى أعلن إشفاقه على الجيش المصري ونصح بالعمل على قبول الهدنة. وهنا انبرت الصحيفة الإسلامية للدفاع عن واجب الشعب المصري والجيش المصري في الإسهام في الحرب المقدسة ضد الصهيونية. وحرصت صحيفة "الإخوان المسلمون" على كشف حقيقة العلاقة المريبة التي تربط بين باشوات مصر ورأسمالييها بالشركات اليهودية وسادتهم البريطانيين ونعت على الشعب المصري تعاسته وبؤسه في ظل وجود باشوات يتلهون بمشاهدة الدماء والأشلاء ولا بأس بأن يقوموا بدور القضاة والوسطاء أيضاً(١٨).

هوامش

١. انظر اميل توما – مصدر سابق ص ٣٠٦- ٣٠٧ – جامعة الدول العربية- الأمانة العامة – إدارة شئون فلسطين – مذكرة عن مراحل تطور القضية الفلسطينية – عام ١٩٦٠ ص ٢، ٣.
٢. طارق البشري – مصدر سابق ص ٢٦٢.
٣. الجماهير ١٩٤٧/١١/٢٢.
٤. الجماهير ١٩٤٧/١٢/٧.
٥. المصري ١٩٤٧/١٠/١٩.
٦. انظر (الاخوان المسلمون) اكتوبر ونوفمبر ١٩٤٧.
٧. مصر الفتاة ١٩٤٨/١/١٢.
٨. انظر جريدة المصري طوال شهور مايو ويونيو ويوليو ١٩٤٨.
٩. المصري ١٩٤٨/٥/٢٢.
١٠. المصري ١٩٤٨/٥/٢٧.
١١. المصري ١٩٤٨/٥/٢٩.
١٢. المصري ١٩٤٨/٥/٣٠.
١٣. انظر الاخوان المسلمون ٧/٣،٧،١٠، ١٩٤٨/٧/٢٤.
١٤. صوت الأمة ١٩٤٨/٧/١١.
١٥. المصر ١٩٤٨/٦/١٢.
١٦. انظر الاخوان المسلمون ١٩٤٨/٧/١٠، ١٩٤٨/١٠/٢٣، ١٩٤٨/١٠/٣٠.
١٧. مصر الفتاة ١٩٤٨/١٢/١٠.
١٨. الاخوان المسلمون ١٩٤٨/٥/٢٩.

obeikandl.com